"The Influence of the Contemporary Regional and International Shifts on the Relation between NATO and Iraq"

تأثير المتغيرات الاقليمية والدولية المعاصرة في علاقة العراق بمنطقة حلف شمالي الاطلسي (الناتو)

By: Watheq Mohammed Barrak Al-Sadoon; م. واثق محمد براك السعدون
Regional Studies Center - Mosul University جامعة الموصل / مركز الدراسة الاقليمية
باحث زائر في مركز الشرق الاوسط للدراسات الاستراتيجية في انقرة / ORSAM

المستخلص :

إن المسارات المتحولة لعلاقة الناتو بالعراق خلال التاريخ المعاصر تعطي مثالاً واضحاً على مرونة العلاقات الدولية وخضوعها للمصالح. وهذا ما يفسر المسار التعاوني للعلاقة بين الناتو والعراق خلال الحرب الباردة، والذي وصل أعلى مدياته خلال الحرب العراقية– الإيرانية، ثم إنتقال هذه العلاقة إلى المواجهة والمسار الصراعي خلال حرب الخليج الثانية، ومن ثم عودته إلى المسار التعاوني خلال الإحتلال الأمريكي للعراق. وبقدر ما كان الناتو ينظر للعراق بوصفه بلد ذو أهمية جيو– ستراتيجية، كانت جهود الحكومات العراقية المتعاقبة لإستثمار هذا العامل في علاقتها مع الناتو متواضعة.

مجلة سر من رأى
ISSN : 1813-6798
مجلة للدراسات الانسانية محكمة متخصصة
تصدر عن كلية التربية / جامعة سامراء

مقدمة:

تعد منظمة حلف شمالي الأطلسي (الناتو) أكبر حلف عسكري في تاريخ العلاقات الدولية المعاصر، لأسباب عدة، أهمها التفوق العالمي لقدرات دول الناتو العسكرية، وإستمرارية تأثير هذه المنظمة ونفوذها في الأوضاع العالمية، الأمنية والسياسية، لعقود طويلة. ففي مواقف عدة كانت أدوار الحلف في الأحداث العالمية المهمة توازي أدوار هيئة الأمم المتحدة، وفي بعض الأزمات فاق دور الناتو دور المنظمة الدولية الأكبر ومجلس أمنها، وبخاصة بعد انتهاء الحرب الباردة، و زوال حلف وارشو، خصم الناتو ومنافسه السابق. ومن البدهي أن تكون لمنظمة مثل الناتو دالة على بلد مثل العراق، بحسبان تأثير ونفوذ هذه المنظمة، وطبيعة العوامل والظروف، الإقليمية والدولية، التي تحكمت بتاريخ العراق المعاصر.

يهدف البحث إلى دراسة تأثير المتغيرات الإقليمية والدولية المعاصرة في علاقة العراق بمنظمة حلف الناتو، من خلال بيان الطبيعة المتغيرة لهذه العلاقة في مراحل مختلفة ومهمة من تاريخ العراق المعاصر، وقد حددت هذه المراحل في البحث بأربعة حروب اختلفت في طبيعتها، ونطاقها، وتأثيرها على أوضاع العراق، وهي (الحرب الباردة، الحرب العراقية– الإيرانية، حرب الخليج الثانية، الغزو والإحتلال الأمريكي للعراق)، وقد تجنب البحث الخوض في تفاصيل هذه الحروب (الأسباب، سير المعارك، النتائج،...الخ) خشية الإبتعاد عن الهدف الرئيس للدراسة وإثقال كاهل البحث بما لا يتحمله، وتم التعامل مع حيثيات هذه الحروب على وفق ارتباطها بتطورات العلاقة بين العراق والناتو. ومن المهم التذكير بأن النطاق الزمني لهذا البحث ينتهي بإنسحاب بعثة الناتو التدريبية من العراق في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١١، وأن أية أحداث أو مستجدات في العلاقة بين العراق والناتو بعد ذلك التوقيت تكون خارج الإطار التاريخي للبحث. لذلك قسم البحث إلى خمسة محاور، الأول الموسوم "أسباب تشكيل حلف شمالي الأطلسي وطبيعة التحالف بين أعضائه"، والذي عد محوراً تمهيدياً للبحث تضمن دوافع تشكيل الناتو والمحددات الرئيسة لسياساته الدفاعية. والمحور الثاني الموسوم"علاقات العراق بمنظمة حلف

شمالي الأطلسي خلال الحرب الباردة" فقد سلط الأضواء على مسار علاقة العراق بالناتو خلال المدة المحصورة بين تأسيس الأخير ولغاية إندلاع الحرب العراقية– الإيرانية في ١٩٨٠. وعلى الرغم من أن سنوات الحرب العراقية– الإيرانية كانت تاريخياً ضمن حقبة الحرب الباردة، إلا أنه تم تناولها في هذا البحث في محور مستقل، وهو المحور الثالث الموسوم "علاقات العراق بمنظمة حلف شمالي الأطلسي خلال الحرب العراقية– الإيرانية (١٩٨٠– ١٩٨٨)"، الذي ناقش التطورات المهمة التي طرأت على علاقة العراق بالناتو خلال تلك الحرب. وبنفس السياق التاريخي للبحث خصص المحور الرابع الموسوم "علاقات العراق بمنظمة حلف شمالي الأطلسي خلال حرب الخليج الثانية (١٩٩٠– ١٩٩١)" لمناقشة التحول الذي جرى على علاقة العراق بالناتو في تلك الأزمة. أما المحور الخامس الموسوم "علاقات العراق بمنظمة حلف شمالي الأطلسي خلال الإحتلال الأمريكي (٢٠٠٣– ٢٠١١)" فقد تناول إنعكاسات الغزو والإحتلال الأمريكي للعراق على علاقة أعضاء حلف الناتو بالعراق وعلى العلاقة بين أعضاء الحلف أنفسهم. وانتهى البحث بخاتمة تضمنت أهم الإستنتاجات التي توصل إليها البحث.

أولاً– أسباب تشكيل حلف شمالي الأطلسي وطبيعة التحالف بين أعضائه:

تعد التحولات الكبرى التي طرأت على الأوضاع الجيوبوليتيكية لأوروبا بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩– ١٩٤٥) وبروز الإتحاد السوفييتي السابق بوصفه قوة عظمى على الساحة الدولية، ومعه دول أوروبا الشرقية ضمن أيديولوجية جديدة متناقضة مع مفاهيم وقيم الدول الغربية، هي العامل الأول وراء تأسيس حلف شمالي الأطلسي[١]. فعندما بدأت الحرب الباردة (١٩٤٥– ١٩٩١) بين المعسكرين الغربي والشرقي وازداد النفوذ السوفييتي في أوروبا في أعقاب الحرب العالمية الثانية، رأت كل من فرنسا وبريطانيا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبورغ أن مصالحها تقتضي أن تتحالف عسكريا، وقد تم ذلك في ميثاق بروكسل المبرم في السابع عشر من آذار/ مارس ١٩٤٨، ولكن سرعان ما تبين أن تلك الدول غير قادرة بمفردها على الوقوف في وجه ما عد في ذلك الوقت توسعا سوفييتيا في الغرب دون مساعدة الولايات المتحدة الأميركية، وقد تبنى السناتور الأميركي (آرثر فاندنبرج Arthur H. Vandenberg) فكرة انضمام بلاده إلى هذا التحالف على أساس المساعدة المتبادلة بينها وبين الدول سالفة الذكر، وتقدم بتوصية رسمية في

هذا الاتجاه إلى مجلس الشيوخ الأميركي في شهر حزيران/ يونيو ١٩٤٨، وأعقب ذلك بدء مرحلة من التشاور والمفاوضات بين الحكومة الأميركية وحكومات الدول الأخرى في منطقة شمال الأطلسي، وانتهت هذه المفاوضات بإبرام معاهدة حلف شمال الأطلسي التي تم توقيعها في واشنطن في اليوم الرابع من نيسان/ أبريل ١٩٤٩، ووافق عليها مجلس الشيوخ الأميركي بأغلبية (٨٢) صوتا ضد (١٣) صوتا. وتبع ذلك إجراء التصديق عليها من الرئيس الأمريكي في الخامس والعشرين من تموز/ يوليو ١٩٤٩، ومن الدول المؤسسة الأخرى (بلجيكا، كندا، الدنمارك، فرنسا، ايسلندا، ايطاليا، لوكسمبورغ، هولندا، النرويج، البرتغال، المملكة المتحدة)، وأصبحت المعاهدة سارية المفعول اعتبارا من الرابع والعشرين من آب/ أغسطس ١٩٤٩[٢].

وفي العام ١٩٥٢ انضمت كل من اليونان وتركيا إلى هذا الحلف. ثم دخلت جمهورية ألمانيا الاتحادية (الغربية) إلى حلف شمال الأطلسي في عام ١٩٥٥، وفي عام ١٩٨٢ أصبحت إسبانيا أيضا عضواً في الناتو. إنضمت كل من بولونيا والمجر وجمهورية التشيك إلى الحلف في الثاني عشر من آذار/ مارس ١٩٩٩. وفي عام ٢٠٠٤ أصبحت كل من بلغاريا واستونيا ولاتفيا وليتوانيا وسلوفاكيا وسلوفينيا ورومانيا أعضاء في حلف شمال الأطلسي، أما كرواتيا وألبانيا فقد أصبحتا أعضاء في هذا الحلف في نيسان/ أبريل ٢٠٠٩[٣].

تتكون منظمة حلف شمالي الأطلسي المعروفة باسم الناتو (NATO) دلالة للحروف الأربعة التي ترمز لأسمها (North Atlantic Treaty Organization)، من تجمع دولي متعدد الأجهزة (سياسية، وعسكرية، وإدارية، وتنفيذية)، وقد سجل التاريخ المعاصر أدواراً بارزة لهذه المنظمة في خارطة الصراعات العالمية، منذ نشوءها في منتصف القرن العشرين. واكتسبت منظمة حلف شمال الأطلسي هذه الأهمية وهذا التأثير من الإمكانيات العسكرية، والاقتصادية، والسياسية للدول الأعضاء، وبخاصة الدول المؤسسة لهذه المنظمة[٤].

لا يملك أي بلد أوروبي في الوقت المعاصر ما يكفي من القوة ليضمن بمفرده دفاعه الذاتي لصد قوة عظمى، ولا حتى لفرض تأثيره في سير الأحداث العالمية، إذ إن أغلب البلدان الأوروبية تملك في الوقت الحالي قوات عسكرية متطورة، تدريباً وتسليحاً وتجهيزاً، ولكنها غير كافية إذا ما نظرنا إليها ضمن إطار عالمي. لذلك نرى استمرار السيطرة والنفوذ الأمريكي داخل

منظمة حلف شمالي الأطلسي، على الرغم من وصف التشكيلات العسكرية لهذه المنظمة بأنها قوة عسكرية مشتركة بين دول أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، لأن الأمن الأوروبي سيظل مرتبطاً بالقوة العسكرية الأمريكية، لحين تمكن الأوروبيين من تشكيل قوة عسكرية موحدة قادرة على حماية أوروبا على الصعيد القاري[٥]. على الرغم من ان الاستجابة العسكرية للاتحاد الأوروبي ضمن هذا التوجهات ظلت ضعيفة، وتمحورت فقط حول الحديث عن إمكانية إيجاد قوة عسكرية أوروبية، والامتناع عن التحرك ضمن الناتو، لإنشاء دور أوروبي مستقل عن الإرادة والتوجهات الأمريكية في هذه المنظمة[٦].

تدعم الولايات المتحدة استمرار وجود حلف الناتو بقوة، للاحتفاظ بقيادتها للعالم، والتي ترى في أوروبا أحد مفاتيحها المهمة، ويندرج ضمن هذا الإطار أيضاً إبقاء أوروبا الشرقية بعيدةً عن دائرة نفوذ روسيا الإتحادية، فضلاً عن أن حلف الناتو يمكن الولايات المتحدة من توفير غطاء دولي خارج نطاق مؤسسات الشرعية الدولية يمكنها من ممارسة سياساتها العسكرية التي تهدف بالأساس إلى حماية مصالحها المنتشرة في العالم، كما حصل في إحتلال العراق. لذلك نجد أن الولايات المتحدة تريد الاحتفاظ بالناتو وتوسيعه بوصفه أداة لتحقيق هذه الأهداف. بالمقابل تهدف الدول الأوروبية من وراء الإبقاء على الناتو إلى الاحتفاظ بالمساهمة الأمريكية الكبيرة في هذا الحلف، وما تمثله هذه المساهمة من قوة عسكرية متفوقة عالمياً و تمويلاً كبيراً وتكنولوجيا متطورة، على الرغم من وجود إختلافات، وفي بعض الأحيان خلافات، حول الرؤى والمصالح، بين الأمريكان وحلفائهم في الناتو[٧].

وقد شرعت الولايات المتحدة مباشرة بعد ظهور ملامح نهاية الحرب الباردة بحملة واسعة لإقناع حلفائها بأن بقاء منظمة الناتو–الواقعة تحت سيطرتهم– أصبح ضرورياً أكثر من أي وقت مضى، وقد بدأ الرئيس جورج هربرت واكر بوش (George Herbert Walker Bush ١٩٨٩– ١٩٩٣) هذه الحملة مبكراً بإطلاق شعار "أطلسية جديدة New Atlantism" مضمونها الرئيس أن الولايات المتحدة لا يمكن أن تتخلى عن الناتو بل "ستستخدمه"، وقد أكد الرئيس الأمريكي بوش الأب على هذا التوجه حين ردد أمام نظيره الفرنسي فرانسوا ميتران François Mitterrand ١٩٨١– ١٩٩٥) بمدينة (كي لاركو Key Largo) بولاية فلوريدا الأمريكية، في نيسان/ أبريل ١٩٩٠، وبصراحة لا تحتمل التأويل:"يجب أن نبقى في أوروبا...، حلف الناتو بالنسبة لنا وسيلة للبقاء هناك...، الوجود الأمريكي مفيد لأوروبا"[٨].

استناداً لما سبق من توضيح موجز لعنصري التضامن التوافقي، والإعتماد المتبادل، بين الولايات المتحدة وحلفائها في الناتو، اللذان يتحكمان بالسياسات الدفاعية لدول الناتو، الإقليمية والدولية، ومن أجل تسليط الأضواء على طبيعة علاقة العراق بهذا الحلف خلال الحقب المتعاقبة المختلفة، منذ تأسيس الناتو، ولغاية وقتنا الحالي، اعتمدت هذه الدراسة على إستعراض وتحليل العلاقات الأمنية– العسكرية، التعاونية أو الصراعية، التي نشأت بين العراق ودول الناتو، بوصفها دول منفردة، وبخاصة العلاقات العراقية– الأمريكية، أو العلاقات التي ارتبط فيها العراق بالناتو بوصفه منظمة دولية.

ثانياً– علاقات العراق بمنظمة حلف شمالي الأطلسي خلال الحرب الباردة:

مثل موقع العراق الجيوستراتيجي وموارده الاقتصادية، أحد محاور اهتمام ومتابعة منظمة حلف شمال الأطلسي في كثير من الأوقات، وطبقاً للصراعات الإقليمية المتكررة التي كان العراق طرفاً فيها، فمن البديهي أن ينال العراق حيزاً مهماً من التخطيط الإستراتيجي للمنظمة، على الصعيدين، العسكري، والسياسي[٩].إذ شهد العراق خلال العهد الملكي(١٩٢١– ١٩٥٨) تقارب مع الولايات المتحدة والغرب، وكانت أبرز محطات التعاون العسكري في تلك الحقبة إتفاقية المساعدات العسكرية الأمريكية للعراق في نيسان/ أبريل ١٩٥٤، وتأسيس حلف بغداد في عام ١٩٥٥[١٠].

وقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد عرضت على مصر بعد ثورة تموز/ يوليو ١٩٥٢، إيجاد ارتباط بين الدول العربية وحلف الناتو، عن طريق إنشاء قيادة دفاعية عن منطقة الشرق الأوسط تكون مصر قلبها ومركز قيادتها. وتم تقديم هذا العرض بشكل رسمي خلال زيارة جون فوستر دالاس John Foster Dulles (١٩٥٣– ١٩٥٩) وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق لمصر في أيار/ مايو ١٩٥٣، ولكن رئيس الوزراء المصري آنذاك جمال عبد الناصر، الرئيس فيما بعد (١٩٥٦– ١٩٧٠)، رفض العرض بشدة، وأعلن استعداد مصر في عهدها الجديد للدفاع عن نفسها دون الدخول في محالفات خارجية. فاتجهت الحكومة الأمريكية إلى العراق الذي كان على رأس حكومته نوري السعيد[١١] حليف بريطانيا القوي. وكانت الولايات

المتحدة قد نجحت في ضم باكستان في عام ١٩٥٤ إلى حلف جنوب شرقي آسيا[١٢]، وقوت انضمام كل من تركيا واليونان إلى الناتو بمساعدات كبيرة. وأدركت الولايات المتحدة، أو أعتقدت، انه يمكن عن طريق نوري السعيد في العراق تحقيق ربط بين منطقة الشرق الأوسط ودول المعسكر الغربي دون أن تظهر الولايات المتحدة نفسها بصورة سافرة. ونتيجة لهذه التوجهات والتحركات ظهر للوجود حلف دفاعي عرف باسم"حلف بغداد" بدأ بتحالف عراقي– تركي في كانون الثاني/ يناير ١٩٥٥، وفي نيسان/ أبريل من العام نفسه انضمت بريطانيا للحلف رسمياً، وفي آخر ذلك العام انضمت كل من إيران وباكستان، وقدمت الولايات المتحدة، التي لم تنظم رسمياً للحلف، مساعدات عسكرية واقتصادية للدول الأعضاء، كما انها كانت تشارك في اجتماعات مجلس الحلف وتعمل على نجاح نشاطه[١٣].

كان ينظر إلى العراق في تلك المدة من الحرب الباردة التي سبقت سقوط النظام الملكي في العراق(١٩٤٥– ١٩٥٨) على إنه حليف إستراتيجي للمعسكر الغربي (الرأسمالي)، إلى درجة تم نشر مقالة في صحيفة (النجم الأحمر) التابعة للجيش السوفييتي في ١٠ أيلول/ سبتمبر ١٩٥٧ أدعى بوجود مؤامرة أمريكية من عدة مراحل لغزو سوريا، التي كانت تحسب من أنصار المعسكر الشرقي (الإشتراكي) بزعامة الإتحاد السوفييتي السابق في ذلك الوقت، وتطرقت المقالة إلى أن تركيا– أحد الدول الأعضاء في الناتو– والعراق سيقومان في أحد مراحل هذه المؤامرة المفترضة بدور رئيس من خلال التدخل المباشر لقوات البلدين البرية والجوية[١٤].

ولكن بعد سقوط النظام الملكي في تموز/ يوليو ١٩٥٨، أعلن العراق في عام ١٩٥٩ انسحابه من حلف بغداد ومن جميع الإتفاقيات العسكرية المبرمة مع بريطانيا والولايات المتحدة. وتوجهت الأنظمة الجمهورية المتعاقبة في العراق نحو تطوير العلاقة مع الإتحاد السوفييتي (السابق) والدول الإشتراكية، ومناهضة المصالح والسياسات الأمريكية–الغربية في المنطقة، الأمر الذي أدى إلى إعتماد منظومات التسليح والتجهيز والتدريب للقوات المسلحة العراقية في تلك الأعوام بالدرجة الأساس على دول المعسكر الإشتراكي[١٥].

ثالثاً– علاقات العراق بمنظمة حلف شمالي الأطلسي خلال الحرب العراقية– الإيرانية (١٩٨٠– ١٩٨٨):

على الرغم من أن الحرب العراقية- الإيرانية (١٩٨٠- ١٩٨٨) كانت من الناحية التاريخية ضمن حقبة الحرب الباردة، إلا أن تأثيراتها وظروفها وانعكاساتها، جعلت علاقات العراق الإقليمية والدولية خلال هذه الحرب، مختلفة عن الحقب التي سبقتها والتي أعقبتها. إذ سعى العراق بعد اندلاع هذه الحرب إلى إقامة علاقات متوازنة مع الدول كافة، بما فيها الولايات المتحدة والغرب، ونجح العراق في جذب أغلب دول العالم إلى صفه، بسبب التعاطف الدولي معه، وإصرار إيران على عدم وقف الحرب على الرغم من القرارات والنداءات الدولية[١٦]. وقد كانت (٣٧%) من مشتروات العراق من الأسلحة والتجهيزات والمعدات العسكرية بشكل عام (الرئيسة وغيرها) في الأعوام (١٩٨٠- ١٩٨٧) تأتي من دول حلف شمالي الأطلسي، وكان لفرنسا المساهمة الأكبر من بين تلك الدول[١٧].

شهدت هذه الحرب تطور العلاقات العسكرية بين العراق ودول حلف شمال الأطلسي وبخاصة ايطاليا وانكلترا وفرنسا وألمانيا الغربية (السابقة)، وشملت هذه العلاقات توريد الأسلحة والمعدات وتدريب الضباط والطيارين العراقيين في المعاهد العسكرية الأوروبية. فقد قدم الفرنسيون للعراق طائرات وأعتدة متنوعة مثل طائرات (Mirage F-1EQ)، كما تم إعطاؤه خمس طائرات من نوع (Super Etendard) المسلحة بصواريخ (Exocet) المتطورة المضادة للسفن بصيغة استئجار من البحرية الفرنسية، وفي ٢٧ آذار/ مارس ١٩٨٤ تم استخدامها وبسببها تمكن العراق من محاصرة وضرب الجزر والمنصات النفطية الإيرانية في الخليج العربي مثل جزيرة (خرج)، وتم التعاقد مع ايطاليا على بناء أسطول بحري للعراق وقطعت أشواط في هذا المشروع ولكن المتغيرات الدولية والنظرة الغربية المختلفة للعراق، والتي تولدت بعد نهاية حرب الخليج الأولى في آب/ أغسطس ١٩٨٨ حالت دون اكتمال هذا المشروع. كما قامت بريطانيا بتجهيز العراق بالحوامات البحرية ومعدات الاتصال العسكرية المتطورة. وتمكن العراق في ذلك الوقت من الحصول على أكبر أسطول عجلات ساحبة لنقل الدبابات في المنطقة من ألمانيا، والذي كان له أثر بالغ في تسهيل المناورة السوقية في تلك الحرب. تعد أمثلة التعاون العسكري هذه جزءاً من نشاط تعاوني واسع ميزت علاقة العراق بدول حلف شمال الأطلسي أبان حرب الخليج الأولى[١٨].

جدول يوضح قيم واردات العراق من الأسلحة الرئيسة التي استوردت من دول حلف شمالي الأطلسي خلال الحرب العراقية– الإيرانية (١٩٨٠– ١٩٨٨)/مقيمة بالمليون $

العام / البلد	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٨
فرنسا	١٨٨	٩٥١	١٨٩	٧٧٨	٨٦٤	٧٢٢	٧٥٧	٢٣٤	٢٧١
بريطانيا	–	–	٢	١٥	–	–	–	–	–
كندا	–	–	–	–	–	–	–	–	٦
الدنمارك	–	–	–	١٨٩	–	–	–	–	–
ألمانيا الغربية	–	–	١٢	٤	٣	٦	–	–	–
ايطاليا	–	–	٣٩	١٩	٤٠	٢٣	–	٤	٧
اسبانيا	–	–	٣٨	٣٨	٢٥	٢٥	٢١	٢١	١٧

الجدول من عمل الباحث بالإعتماد على المصدر الآتي:

- **Jochen Hippler, "Iraq's Military Power: The German Connection", Middle East Report, No. 168, (MERIP) Middle East Research and Information Project، (USA,1991), p.29.**

مخطط يوضح الدول الموردة لأنظمة الأسلحة الرئيسة للعراق خلال الحرب العراقية-الإيرانية(١٩٨٠- ١٩٨٨)

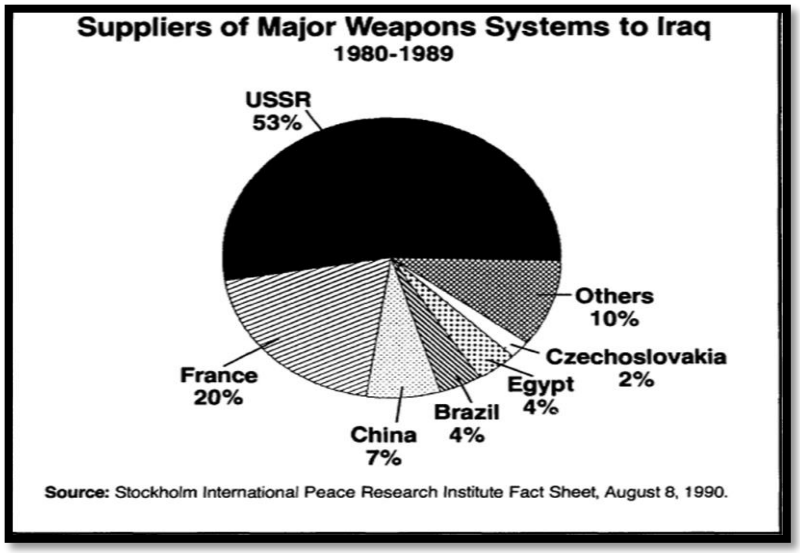

المصدر:

- **Jochen Hippler, "Iraq's Military Power: The German Connection", Middle East Report, No. 168, (MERIP) Middle East Research and Information Project، (USA,1991), p.28.**

كما تمكن العراق خلال هذه الحقبة من الحصول على التكنولوجيا النووية من الدول والشركات الغربية المختلفة، فتعاقد مع فرنسا وإيطاليا للحصول على حلقات دورة الوقود النووي، إذ قامت فرنسا بمساعدة العراق في بناء مفاعل(أوزيراك) الذي أطلق العراقيون عليه أسم (تموز)، وهو مفاعل بحوث متطور خاص بأغراض توليد الطاقة الكهربائية، مع إمكانية إنتاج البلوتونيوم للأغراض العسكرية. وقد مثل هذا المفاعل النواة المركزية للمشروع النووي العراقي. كذلك حصل العراق على التكنولوجيا والمساعدات الفنية اللازمة لبرامجه الكيميائية والبيولوجية من كل من ألمانيا الغربية (السابقة) وبلجيكا وإسبانيا وهولندا وإيطاليا، وجرى (تهريب) مواد لتلك البرامج من الولايات المتحدة. أما برامج الصواريخ الباليستية فقد حصل العراق على التكنولوجيا والمستلزمات

الفنية الخاصة بها من بلدان غربية مثل بريطانيا وفرنسا، فضلاً عن المجهز الرئيس لنظام التسليح العراقي آنذاك الإتحاد السوفييتي السابق. وقد تعاملت الولايات المتحدة خلال هذه المدة بقدر من الدبلوماسية مع برامج الأسلحة غير التقليدية (النووية– الأحيائية– الكيميائية) العراقية، إذ لم تبد إدارات الرؤساء الأمريكان جيمي كارتر James Earl "Jimmy" Carter (١٩٧٧–١٩٨١) ثم رونالد ريغان Ronald Wilson Reagan (١٩٨١– ١٩٨٩) تشدداً واضحاً تجاهها، بخاصة وأن الولايات المتحدة كانت حريصة على منع إيران من تحقيق نصر على العراق، وإن لم يعن ذلك أيضاً الحرص على انتصار العراق، بل رأت من الضروري منع قوة إقليمية واحدة من فرض هيمنتها على الخليج وهو ما دعاها إلى تقديم الدعم العسكري أيضاً لإيران[١٩]. إذ كشفت الأنباء الصحفية في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٦ عن بيع أسلحة أمريكية لإيران، على الرغم من إدعاء الولايات المتحدة حيادها، أو تعاطفها مع العراق وعدم مساندتها لإيران في تلك الحرب، وقد عرفت تلك القضية بفضيحة (إيران– كونترا غيت)[٢٠]. ويذكر محمود علي الداود الأكاديمي والدبلوماسي العراقي السابق في دراسته الموسومة"توجهات حلف الأطلسي في الشرق الأوسط" بأن الدور الأمريكي– الغربي في الحرب العراقية– الإيرانية قد نجح في إطالة أمد الحرب وإنهاك طرفيها ووضع حد للمنافسات والطموحات العراقية والإيرانية في الخليج العربي عن طريق مخطط لإنهاك ثم تدمير القوتين العراقية والإيرانية الواحدة تلو الأخرى[٢١].

رابعاً– علاقات العراق بمنظمة حلف شمالي الأطلسي خلال حرب الخليج الثانية (١٩٩٠–١٩٩١):

من المعروف أن حرب الخليج الثانية التي اندلعت أثر دخول القوات العراقية إلى الكويت في الثاني من آب/ أغسطس ١٩٩٠، قد حدثت قبل النهاية الرسمية للحرب الباردة في الخامس والعشرين من كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩١، وهو اليوم الذي استقال فيه ميخائيل غورباتشوف (Mikhail Gorbachev ١٩٨٥– ١٩٩١) آخر رئيس للاتحاد السوفييتي السابق، ونكس علم الاتحاد السوفييتي لآخر مرة فوق قصر (الكرملين) في موسكو، وتبعه في اليوم التالي إعلان مجلس جمهوريات الاتحاد السوفييتي الأعلى عن حل الاتحاد السوفييتي، وهو ذات اليوم الذي ألقى فيه الرئيس الأمريكي بوش الأب خطاباً أعلن فيه انتهاء الحرب الباردة، إلا إن هنالك الكثير

من الباحثين والمراقبين لهذا الشأن يرون بأن سقوط جدار برلين في التاسع من تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٩يصلح أن يكون التأريخ الفعلي لنهاية الحرب الباردة، وأن حرب الخليج الثانية كانت من أبرز معالم البيئة الدولية لما بعد الحرب الباردة، بدليل أن العمليات العسكرية التي قامت بها الولايات المتحدة وحلفائها في هذه الحرب تم تطبيقها على وفق التخطيط الإستراتيجي للأدوار العسكرية الأمريكية– الغربية في عالم ما بعد الحرب الباردة. مما يسمح بتناول هذه الحرب خارج الإطار التاريخي لحقبة الحرب الباردة.

في آب/ أغسطس ١٩٩٠ وبعد إجتماع للحكومة البريطانية، ذكر دوكلاس هارد Douglas Richard Hurd وزير الخارجية البريطانية آنذاك في بيان الحكومة:"الحكومة البريطانية قررت المشاركة بقوات عسكرية في التحالف الدولي للدفاع عن الأراضي السعودية والدول المهددة الأخرى في المنطقة، ولتقديم الدعم في حصار الأمم المتحدة ضد العراق." وفي الوقت نفسه، بدأت فرنسا مساهمتها العسكرية في هذه الحرب بإرسال حاملة الطائرات (كليمنسو) إلى الخليج العربي، وفي الثالث عشر من آب/ أغسطس قامت فرنسا بإرسال سفينة حربية أخرى مع غواصة، فضلاً عن أكثر من (٣٠٠٠) جندي، وطائرات نقل ومقاتلات حربية. وعرضت ألمانيا تقديم الدعم غير المباشر من خلال السماح للقوات الأمريكية بإستخدام قواعدها في ألمانيا في العمليات الحربية، وتقديم الدعم المادي للتحالف الدولي المضاد للعراق. وشاركت في التحالف أيضاً قوات كل من ايطاليا، وبلغاريا، والدنمارك، وهولندا، والنرويج، وبولندا، والبرتغال، وإسبانيا. وأرسلت السويد جيكوسلوفاكيا وهنغاريا وحدات طبية. وسمحت النمسا وسويسرا لطائرات النقل الحربي للتحالف بالعبور فوق أراضيها(٢٢).

اختلف تصنيف العراق من وجهة نظر حلف شمال الأطلسي خلال تلك الحرب وتحول إلى دولة تهدد المصالح الغربية، وحشدت دول الحلف إمكانياتها العسكرية البشرية والمادية في هذا النزاع المسلح لإخراج العراق من الكويت، ووصل التعاون والتنسيق وتطابق الرؤى بينها إلى أقصى درجاته، وصاحبت تلك العمليات قلق ميداني شديد حول تباين القدرات العسكرية والكفاءة القتالية الأمريكية مع ما موجود لدى نظيراتها أعضاء التحالف الآخرين، فقد كانت الفوارق في العقيدة والتكتيكات والقدرات وميزان القوى العسكرية كبيرة جداً مما تتطلب حرصاً شديداً في

تنسيق العمليات. كما شاركت القوات الجوية لبعض دول الحلف القوات الجوية الأمريكية في عمليات المراقبة والاستطلاع الجوي للأراضي والقطعات العسكرية العراقية، التي أعقبت خروج القوات العراقية من الكويت[٢٣].

خامساً– علاقات العراق بمنظمة حلف شمالي الأطلسي خلال الإحتلال الأمريكي (٢٠٠٣–٢٠١١):

سبق الغزو الأمريكي للعراق في نيسان/ أبريل ٢٠٠٣ ظهور خلافات إستراتيجية داخل حلف شمالي الأطلسي، تتمثل في مطالبة الولايات المتحدة الأمريكية لشركائها الأوروبيين بمشاركة جادة في عمليات الحلف، بينما تنفرد واشنطن باتخاذ القرار، وتخطط وتدير إستراتيجية تلك العمليات خارج إطار أجهزة الحلف، وعلى أساس قدرة الولايات المتحدة الأمريكية على التدخل العسكري في كل مكان في العالم. لذلك طالب الأوروبيين بتصحيح عملية اتخاذ القرارات السياسية والإستراتيجية في قيادة الحلف، مع الوضع في الاعتبار وجود بدائل أخرى غير عسكرية لتحقيق الأمن الدولي تعفي الحلف من التدخل في كل منطقة توتر عالمي[٢٤].

واختلفت مواقف ومصالح كل من المعسكرين (المؤيد والرافض للمشروع الأمريكي) ففي الجانب المؤيد تكاد تلتصق بريطانيا بصورة شبه كاملة بموقف واشنطن في إطار التحالف الإستراتيجي بينهما، وبعدها من حيث قوة التأييد هولندا والدانمارك، أما التأييد الإسباني والإيطالي فكان أكثر تحفظاً، ويمكن فهم موقف البلدين الأخيرين في إطار محاولتهما التأكيد على استقلاليتهما في وجه المحور الفرنسي الألماني في القارة الأوروبية. أما دول أوروبا الشرقية والوسطى فلها دوافعها الخاصة، فبولندا وجمهورية التشيك والمجر تسعى جميعها في ظل وضعية جيو – إستراتيجية شديدة التعقيد لتوظيف علاقاتها الخاصة مع الولايات المتحدة لخلق حالة من التوازن الإيجابي في فعلها الخارجي في ظل ارتباطها العضوي بالاتحاد الأوروبي. وفي الجهة المقابلة تمركزت الدول المناوئة للمشروع الأمريكي في العراق والتي ضمت بصورة أساسية فرنسا وألمانيا وبلجيكا، وبدرجات أقل النرويج واليونان والسويد ولوكسمبورغ،على رؤيتها بعدم مشروعية استخدام القوة العسكرية في نزع أسلحة الدمار الشامل العراقية إلا بعد استنفاذ كافة الوسائل

وبترخيص واضح من الأمم المتحدة، وعلى عدم جواز التدخل المباشر لتغيير نظام الحكم في العراق وغيره من دول المنطقة[٢٥].

على النقيض من دور الحلف في أفغانستان، كان التعاون والتنسيق في بداية احتلال العراق في نيسان/ أبريل ٢٠٠٣ بين القوة المتعددة الجنسيات في العراق بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وحلف شمال الأطلسي محدود جداً. إذ إن الحلف كان وما زال يطلق في جميع وثائقه تعبير "العملية operation" على جهوده العسكرية في أفغانستان، كدلالة على كبر حجمها، وأهمية هذا الدور واستمراريته، بينما يصفها في العراق بـ"المهمة mission "، للتعبير عن محدوديتها. وقد عرف تحالف الدول الأعضاء في الناتو الذين شاركوا الولايات المتحدة الأمريكية بصورة واسعة وفعلية في عمليات احتلال العراق باسم " تحالف الراغبين coalition of the willing "[٢٦]. ثم أخذت الخلافات التي نشبت داخل الحلف بالتلاشي تدريجياً، بعد أن أكتشف الحلفاء من جديد إن ثمة مصالح مشتركة تكمن في نجاح عملية العراق، وهو ما دفعهم معاً إلى إبداء استعداد اكبر من أجل ضمان هذه المصالح والانتفاع بها. إن فرنسا وألمانيا كانتا تخشيان ثبوت خطأ أحكامهما بشأن حرب العراق واحتمال اندفاع واشنطن للدخول في "مغامرات" أخرى في المنطقة، ولكن يبدو إن هذه التصورات قد تبددت هي الأخرى، كما يبدو أيضاً إن الولايات المتحدة الأمريكية قد اقتنعت بضلال تصرفاتها بفعل المصاعب التي واجهتها في إحلال الاستقرار في العراق. فيما بات واضحاً لمعظم الأوروبيين إن العواقب السلبية المترتبة على الإخفاق الأمريكي في ذلك البلد أشد تأثيراً بكثير من تلك النتائج التي كانت ستترتب على نجاح الولايات المتحدة الأمريكية فيه[٢٧].

وفيما يخص الدور المرسوم للناتو في العراق يمكن الإشارة إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية أصرت في بداية احتلالها للعراق، وفي ظل زهوها بانتصارها العسكري السريع الذي حققته في بداية الغزو، على إشراك حلف الناتو في مهمات محددة في إطار رؤيتها للدور المحتمل للناتو في العراق والذي يتجسد في الآتي:

(١) تتولى الوحدات التي يرسلها الحلف المراقبة الجوية والرصد والاستطلاع لتحديد مواقع المسلحين الذين يهاجمون قوات الإحتلال، على أن ترسل المعلومات المستحصلة إلى مقر رئيس يخضع للقيادة والسيطرة الأمريكية.

(٢) عدم إرسال قوات عسكرية (غير أمريكية) من قبل الحلف دفعة واحدة إلى العراق.

(٣) عدم مشاركة فرنسا في المهام القتالية التي سيقوم بها الحلف في العراق، وأن يقتصر دورها على التدريب المحدود لبعض صنوف القوات العراقية المتشكلة حديثاً، وتأمين ودعم البعثات الدولية الإنسانية وموظفي الأمم المتحدة، ويتضح من تلك الرؤية أن هناك دوراً محدداً تراه الولايات المتحدة للحلف في منطقة الخليج والعراق بما لا يمثل تهديداً مستقبلياً للمصالح الأمريكية[٢٨].

وتوصل الحلف في حينها إلى حل وسط يقوم بموجبه بمساندة الولايات المتحدة الأمريكية بعملياتها العسكرية في العراق، بدون الاشتراك في العمليات القتالية، وذلك عن طريق إنشاء بعثة لحلف شمال الأطلسي في العراق(وبعد طلب رسمي من الحكومة العراقية آنذاك)، لتأخذ هذه البعثة على عاتقها واجبات تدريب أفراد الجيش العراقي، والمساعدة في إصلاح القطاع الأمني، وتنسيق عمليات تجهيز الجيش العراقي بالمعدات والأسلحة. وقد اعتبرت منظمة حلف شمال الأطلسي (وكذلك الحكومة العراقية) هذا التعاون مفيداً لتحقيق الاستقرار في العراق[٢٩].

تجدد الانقسام حول العراق في الناتو في العام ٢٠٠٤، بعد تصاعد الهجمات ضد قوات الإحتلال الأمريكي، الأمر الذي أضطر الولايات المتحدة إلى الطلب من الناتو التدخل في العراق بشكل أعمق، بسبب الخسائر التي بدأت تقع في صفوف القوات الأمريكية. ووقف في وجه هذه الدعوة كثيرٌ من الدول الأوروبية الأعضاء في الحلف، التي التفت حول فرنسا وألمانيا، اللتان قادتا هذا الموقف، وقد تصورت المقترحات الأمريكية التي كانت تطرح منذ العام ٢٠٠٣ بخصوص ضرورة قيام الناتو بالتدخل "الفعال" أو أداء دور "جماعي" في العراق، أن يقوم الناتو بمشاركة أوسع في العراق، ربما في إطار سياسة أرحب تجاه الشرق الأوسط، غير انه في ظل التهديد المحتمل من الإفراط في التمدد، وهو التهديد الذي كان الناتو يواجهه في أفغانستان، كان يصعب تصور نجاح مشاركة فعالة للناتو في نقطة ساخنة أخرى مثل العراق، وتلقت فكرة زيادة تدخل الناتو ضربة موجعة بفعل قرار حكومة اسبانيا الجديدة التي فازت في انتخابات آذار/

مارس ٢٠٠٤ بسحب القوات الإسبانية من العراق في ربيع العام ٢٠٠٤، وكذلك قرار كل من هنغاريا وبولندا والتشيك بسحب قواتهم(٣٠).

وبحلول منتصف العام ٢٠٠٤، كانت أفكار مختلفة قد طرحت من اجل زيادة تدخل الناتو المباشر في العراق، لكن اتضح في قمة الناتو التي عقدت في مدينة إسطنبول التركية في حزيران/ يونيو ٢٠٠٤، التي أطلقت "مبادرة إسطنبول للتعاون الأمني"، التي حدد فيها أطر وصيغ شراكات الناتو ومساهماته المستقبلية في تدابير الأمن الإقليمي لمنطقة الشرق الأوسط(٣١)، انه لم يكن في وسع التحالف بقيادة الولايات المتحدة أن يتوقع تأييداً لتوريط قوات عسكرية تابعة للناتو في العراق. وكان أقصى ما يمكن تحقيقه هو موافقة دول الناتو على تزويد قوات الأمن العراقية بكوادر تدريبية، دون مهام قتالية(٣٢).

قررت قمة الحلف في إسطنبول تقديم المساعدة للحكومة العراقية، بناء على طلب الأخيرة، في مجال تدريب قوات الأمن العراقية، فأنشأت بعثة الناتو للتدريب في العراق، وتولى الجنرال الأمريكي ديفيد بيتر أوز قيادة البعثة، وافتتح السكرتير العام للناتو ياب دي هوب شيفر، مقر مكتب الناتو بالمنطقة الخضراء ببغداد في أول كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٤(٣٣). كما تقوم النرويج بتدريب أعداد من الضابط والقادة العراقيين في النرويج في (مركز الناتو للحرب المشتركة NATO Joint Warfare Center)، في موضوعات (الإدارة المشتركة للعماليات، عمليات دعم السلام، والتعاون المدني– العسكري، إجراءات التخطيط ألعملياتي للناتو، إجراءات الناتو للإعلام والمخابرات، العمليات الطبية العسكرية، وحماية المدنيين ودور المنظمات الدولية وغير الحكومية). المهمة إذن هي مهمة تدريب القوات العراقية وتقديم العون التقني لها، وتجهيزها ببعض المستلزمات الضرورية لمساعدتها على أداء واجبها بشكل صحيح وتهيئتها لتسلم الملف الأمني تدريجياً، إضافة إلى دفاع قوات الناتو عن نفسها وعن القوات العراقية التي تقوم بتدريبها بحالة تعرض أي منها لهجوم مسلح(٣٤).

قامت بعثة الناتو في العراق في المدة (٢٠٠٤– ٢٠١١) بتدريب ما يزيد على (٥٠٠٠) فرد من العسكريين والموظفين في وزارة الدفاع العراقية وأكثر من (١٠٠٠٠) فرد من وزارة الداخلية العراقية في دورات تدريبية داخل العراق، وأكثر من (٢٠٠٠) فرد من القوات الأمنية

العراقية في دورات تدريبية خارج العراق في البلدان الأعضاء في الناتو أو البلدان المتحالفة مع الناتو، وقدم الناتو للعراق في هذه المدة أيضاً مساعدات عسكرية تضمنت معدات عسكرية بقيمة ما يزيد على (١١٥) مليون يورو، و(١٧،٥) مليون يورو أموال لتغطية نفقات التدريب في المنشآت الخاصة بمنظمة حلف شمال الأطلسي. ثم أعلن اندرس فوغ راسموسن Anders Foug Rasmussen الأمين العام للناتو في الثاني عشر من كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١١، بأن الناتو سينهي مهامه التدريبية في العراق في الحادي والثلاثين من الشهر نفسه، بعد فشل المفاوضات مع الحكومة العراقية لمنح عناصر الناتو في العراق الحصانة التي طلبوها، ونقلت وسائل إعلامية عن راسموسن قوله في بيان له:"بعد رفض الحكومة العراقية منح الحصانة إلى عناصر الحلف، تعذر إيجاد اتفاق حول تمديد هذا البرنامج المكلل بالنجاح، بالرغم من المفاوضات المضنية بين حلف شمال الأطلسي والسلطات العراقية"[٣٥].

من جهة أخرى، قدمت الولايات المتحدة خلال هذه المدة بعض المساعدات العسكرية للعراق خارج إطار برامج الناتو، كان من أهمها تدريب مجموعة من الطيارين العراقيين على طائرات الـ(F-16) التي تعاقد العراق على شرائها من الولايات المتحدة من خلال برامج تدريبية بدأت في خريف العام ٢٠١٠ وتستمر من (١٢–١٧) شهر[٣٦]، وتدريب أفراد القوة البحرية العراقية في دورات تدريبية انطلقت في نيسان/ أبريل من العام ٢٠١٠ في مدينة (مورغان) في ولاية (لويزيانا) الأمريكية على إستخدام زوارق الدورية، التي تعرف أيضا باسم" سويفت شب"، التي تعاقد العراق أيضاً على شراءها من الولايات المتحدة، للدفاع عن منصات النفط في الخليج العربي[٣٧]. وإن هذه الخطوات مهمة لتعزيز سيادة وقدرات العراق الجوية والبحرية، فضلاً عن تطوير مجالات التعاون العسكري العالمية للجيش العراقي.

رأى بعض الكتاب إلى أن الحرب على العراق أضعفت قدرات القيادة الأمريكية لحلف شمالي الأطلسي، فضلاً عن إضعافها وحدة الحلف نفسه، الأمر الذي أدى إلى تشجيع طموحات خصوم هذا التحالف ومنافسيه الدوليين مثل روسيا الإتحادية والصين وإيران وكوريا الجنوبية[٣٨]. كما إن صناع القرار الأوروبي لم يعدوا عدم القدرة على اتخاذ موقف موحد تجاه الغزو الأمريكي للعراق علامة من غياب الإرادة السياسية، وإنما كان الفشل الأوروبي في العراق الدافع للدول الأوروبية إلى مضاعفة جهودهم لبناء سياسة خارجية وأمنية مشتركة. فأوروبا تعلمت من هذه

الأزمة بأنها ستكون مؤثرة في العالم عبر توحيد مواقفها وسياساتها، وتحويل الاتحاد الأوروبي إلى مؤسسة تتحرك بشكل واحد على الساحة الدولية، وضرورة التحرك ضمن الحدود الممكنة عبر إحداث توازن بين حجم المصالح الأوروبية في الشرق الأوسط من جهة، والقدرة على التأثير في مجريات الأحداث من جهة أخرى، في ظل المنافسة الأمريكية التي تؤثر في هذه المصالح، ولكن الاستجابة العسكرية للاتحاد الأوروبي ضمن هذا التوجهات ظلت ضعيفة، وتمحورت فقط حول الحديث عن إيجاد قوة عسكرية أوروبية والامتناع عن التحرك ضمن الناتو[٣٩].

خاتمة وإستنتاجات

عند إجراء مراجعة تاريخية مصحوبة بالتحليل لمسارات العلاقة بين العراق ومنظمة حلف الناتو، التعاونية والصراعية، تتبين لنا حقيقتان رئيستان، أولهما ان حلف الناتو ينظر بإستمرار إلى العراق بوصفه بلد مهم من الناحية الجيو – ستراتيجية وإنه مفتاح حماية المصالح الأمريكية– الغربية في المشرق العربي، لذلك نجد تأثير هذه الحقيقة واضحاً في الخطط الإستراتيجية للناتو التي تعد لمواجهة التطورات المحتملة للأوضاع في المنطقة. أما الحقيقة الرئيسة الثانية فهي أن الحكومات العراقية المتعاقبة التي عاصرت تحولات العلاقة بين العراق والناتو لم تستطع استثمار الأهمية الجيو – ستراتيجية التي ينظر بها الناتو تجاه العراق، وتوظيفها في التخفيف من ردود أفعال الناتو خلال مراحل الصراع مع العراق، أو في بناء شراكة قوية مع الناتو في مراحل التعاون. ولقد خلص البحث في سياق تناوله لهذا الموضوع إلى جملة من الاستنتاجات، أهمها:

١. على الرغم من مرور أكثر من ستين عاماً على تأسيس حلف الناتو، وعلى الرغم من إنتهاء الحرب الباردة التي كانت السبب الرئيس في تشكيل هذا الحلف، وعلى الرغم من خلافات أعضاء الحلف التي تحدث بين الحين والآخر، إلا أن من المرجح إستمرار وتصاعد أدوار الحلف وتأثيره في الأوضاع العالمية، الأمنية والسياسية، بل وحتى الإقتصادية. ومن جهة أخرى، سيستمر نفوذ وتأثير الولايات المتحدة الأمريكية على سياسات حلف الناتو وقراراته، ما دامت حاجة أوروبا للقوة الأمريكية مستمرة.

٢. تعد المساعي الحثيثة التي بذلها الناتو، منظمة أو دول منفردة، لمد جسور التعاون العسكري ومحاولات التحالف مع العراق خلال العهد الملكي، دليل واضح على القيمة الجيو– ستراتيجية للعراق خلال بدايات الحرب الباردة.

٣. أدت الظروف العالمية والإقليمية خلال الحرب العراقية– الإيرانية (١٩٨٠– ١٩٨٨)، إلى تسجيل أعلى معدلات تاريخية للتعاون العسكري بين العراق ودول الناتو، في مختلف المجالات (التسليح، التدريب، التجهيز).

٤. من بين أثمان باهظة كثيرة، أضطر العراق إلى دفعها في حرب الخليج الثانية (١٩٩٠– ١٩٩١)، نتيجة السياسات الخاطئة التي كانت متبعة آنذاك، وسوء التقدير للمواقف والأوضاع الإقليمية والعالمية، دفع العراق ثمن تصميم الناتو على أن يجعل تلك الحرب هي التتويج الرسمي والميداني لإنتصار الغرب في الحرب الباردة، وترسيخ مفاهيم ومعطيات الأمن العالمي لحقبة ما بعد الحرب الباردة، وعلى رأسها أن الناتو أصبح الحلف العسكري الأقوى والأوحد في العالم.

٥. بسبب الاختلاف الكبير في الرؤى بين أعضاء الناتو حول قضية غزو العراق وإحتلاله، مثلت حقبة الإحتلال الأمريكي للعراق (٢٠٠٣– ٢٠١١) أختباراً مهماً لقدرة الناتو على تجاوز خلافاته وإعادة تماسكه، إذ واجه الحلف قبيل وخلال هذه الحقبة أخطر التحديات في تاريخه، والتي كادت أن تؤدي به للتفكك والإنقسام.

- Abstract-

The shift approaches for the relation between NATO and Iraq during the contemporary history, Give a clear example about the flexibility of the international relations, And how it succumb to the interests. This explain the cooperative approach in the relation between NATO and Iraq in the Cold War-era, Which reached maximum range in the Iran-Iraq war(1980-1988), Then this relation change to the confrontation and conflict approach during the Second Gulf War(1990-1990), Then this relation return to the cooperative approach US occupation of Iraq after April 2003.The NATO always considered Iraq as a Geostrategic important country, But all of the successive Iraqi governments didn't invest this feature successfully for the benefit of Iraq.

الهوامش والمصادر

(١) طالب حسين حافظ، "الأدوار الجديدة لحلف الناتو بعد انتهاء الحرب الباردة"، مجلة دراسات دولية، ع (٤٦)، مركز الدراسات الدولية بجامعة بغداد، (بغداد، ٢٠١٠)، ص ١٣٦.

(٢) محمد عزيز شكري، الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية، سلسلة كتب عالم المعرفة (٧)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت، (الكويت، ١٩٧٨) ، ص ص ٣٣– ٣٤.

(3) North Atlantic Treaty Organization (NATO), published Study, Center for Nonproliferation Studies,2010.
<www.nti.org/e_research/official_docs/inventory/pdfs/nato.pdf>

(٤) واثق محمد براك السعدون، "سياسة منظمة حلف شمال الأطلسي تجاه العراق ٢٠٠٢– ٢٠٠٩"، مجلة دراسات إقليمية، ع(٢٢)، مركز الدراسات الإقليمية، (جامعة الموصل، ٢٠١١)، ص٢١٢.

(٥) تزفيتان تودورف، اللانظام العالمي الجديد، ترجمة: محمد ميلاد، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع، (سوريا، ٢٠٠٦)، ص ص ١٠٥– ١٠٧.

(٦) حسين طلال مقلد، "محددات السياسة الخارجية والأمنية الأوروبية المشتركة"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الإقتصادية والقانونية، م (٢٥)، ع (١)، (دمشق، ٢٠٠٩)، ص ٦٦٦.

(٧) محمد حسون،"إستراتيجية حلف الناتو الشرق أوسطية بعد انتهاء الحرب الباردة"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الإقتصادية والقانونية، م (٢٤)، ع (١)، (دمشق، ٢٠٠٨)، ص٥٢١.

(٨) زهير بو عمامة، أمن القارة الأوروبية في السياسة الخارجية الأمريكية بعد نهاية الحرب الباردة، دار الوسام العربي، (الجزائر، ٢٠١١)، ص ص ٢٢٢- ٢٢٣.

(٩) السعدون، المصدر السابق، ص٢١٢.

(١٠) وقع ميثاق التعاون المتبادل بين العراق وتركيا في ٢٤ شباط/ فبراير ١٩٥٥، انضمت بريطانيا إلى هذا الميثاق في ٥ نيسان/ أبريل ١٩٥٥، فأصبح يعرف بحلف بغداد، ثم انضمت إليه باكستان في ٢٣ أيلول/ سبتمبر ١٩٥٥، وفي ١٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٥ انضمت إيران لهذا الحلف. ولمزيد من المعلومات ينظر: عبد الرزاق الحسني، تأريخ الوزارات العراقية، ج٩، ط٧، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ١٩٨٨)، ص ص ٢٤٩- ٢٧٤؛ ستار جبار الجابري، العلاقات العراقية الفرنسية (١٩٢١- ١٩٥٦)، ط١، مركز العراق للدراسات،(بغداد، ٢٠٠٩)، ص ص ٢١١، ٢١٢.

(١١) نوري باشا السعيد: أبرز السياسيين العراقيين أثناء العهد الملكي. ولد نوري بن سعيد صالح بن الملاّ طه القرغولي في محلة (تبة الكرد) بالقرب من ساحة الميدان ببغداد وذلك بحدود سنة ١٨٨٧، وتخرج من الأكاديمية العسكرية التركية في إسطنبول، خدم في الجيش العثماني وساهم في الثورة العربية وانضم إلى الأمير فيصل بن الشريف حسين في سوريا، وبعد إفشال تأسيس مملكة الأمير فيصل في سوريا من قبل القوات الفرنسية، عاد إلى العراق وساهم في تأسيس المملكة العراقية والجيش العراقي. تولى منصب رئاسة الوزراء في العراق (١٤) مرة بدءاً من وزارة ٢٣ آذار/ مارس عام ١٩٣٠ إلى وزارة ١ أيار/ مايو عام ١٩٥٨. قتل في تموز/ يوليو سنة ١٩٥٨. ينظر: فراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، ج١، دار إسامة للنشر، (عمان، ٢٠٠٣)، ص ص ١٠٣٧، ١٠٣٨.

(١٢) ضم حلف جنوب شرق آسيا(السيتو) كل من؛ الولايات المتحدة، بريطانيا، فرنسا، أستراليا، نيوزلندا، باكستان، تايلاند، الفلبين. ولمزيد من المعلومات ينظر: شكري، المصدر السابق، ص ص ٤٣- ٤٩.

(١٣) رأفت غنيمي الشيخ، أمريكا والعالم في التاريخ الحديث والمعاصر، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، (القاهرة، ٢٠٠٦)، ص ص ١٤١- ١٤٢.

(١٤) وليد رضوان، العلاقات العربية- التركية، ط١، المطبوعات للتوزيع والنشر، (بيروت، ٢٠٠٦)، ص ١٢٥.

(١٥) نجم عبود مهدي السامرائي، العلاقات العراقية- الأمريكية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط١، (عمان، ٢٠١٣)، ص ص ١١-١٢.

(١٦) المصدر نفسه، ص ١٤.

(١٧) عبد الحليم أبو غزالة، الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠- ١٩٨٨، (القاهرة، ١٩٩٣)، ص ٧٢.

(١٨) السعدون، المصدر السابق، ص ص ٢١٦- ٢١٧.

(١٩) زينب عبد العظيم محمد، الموقف النووي في الشرق الأوسط في أوائل القرن الحادي والعشرين، ط١، مكتبة الشروق الدولية، (القاهرة، ٢٠٠٧)، ص ص ٨٩– ٩٣.

(٢٠) (إيران– كونترا غيت): الأسم الذي أطلق على القضية التي أثيرت منتصف الثمانينات جراء قيام إدارة الرئيس الأمريكي ريغان بعقد اتفاقاً سرياً مع إيران (بالرغم من القطيعة الدبلوماسية والعداء المعلن بين البلدين) لتزويدها بأنواع متطورة من الأسلحة بسبب حاجتها الماسة لها خلال حربها مع العراق (١٩٨٠– ١٩٨٨)، وذلك لقاء إطلاق سراح بعض الأمريكان الذين كانوا محتجزين في لبنان من قبل فصائل مسلحة موالية لطهران، إذ كان الاتفاق يقضي ببيع إيران وعن طريق (إسرائيل) ما يقارب (٣٠٠٠) صاروخ "تاو" مضادة للدروع وصواريخ (هوك) أرض– جو مضادة للطائرات. وفي آب/أغسطس من عام ١٩٨٥، تم إرسال (٩٦) صاروخاً من نوع "تاو" من (إسرائيل) إلى إيران على متن طائرة (DC-8) انطلقت من (إسرائيل)، فضلاً عن دفع مبلغ مقداره (١،٢١٧،٤١٠) دولار أمريكي لحساب الإيرانيين في مصرف في سويسرا. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر من عام ١٩٨٥، تم إرسال (١٨) صاروخاً تم شحنها من البرتغال و(إسرائيل)، تبعها (٦٢) صاروخاً آخر أرسلت من (إسرائيل). وكانت المرحلة الثانية من هذا الاتفاق تقتضي بيع أسلحة أمريكية لإيران، واستعمال أموال الصفقة لتمويل حركات "الكونترا" المناوئة للنظام الشيوعي في نيكاراغوا. ينظر:

"Iran-Contra Affair", History.com, 13 April 2009 <http://www.u-s- history .com/pages/h1889.html>;" Iran Contra Scandal", Home.snu.edu, 13 April 2009 <http://home.snu.edu/~dwilliam/s98/usarab/icscandal.htm>

(٢١) محمود علي الداود، "توجهات حلف الأطلسي في الشرق الأوسط"، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، (بغداد، ٢٠٠٨)، ص ٢.

(٢٢) السامرائي، المصدر السابق، ص ص ١٢٨–١٣٣.

(٢٣) السعدون، المصدر السابق، ص ص ٢١٧– ٢١٨.

(٢٤) حسام سويلم، خلافات الناتو وانعكاساتها على منطقة الشرق الأوسط، مجلة السياسة الدولية، ع(١٤٨)، (القاهرة)، ٢٠٠٢، ص١٩٥.

(٢٥) ستار الجابري وآخرون، الإستراتيجية الأمريكية في العراق وتداعياتها، مركز الدراسات الدولية، (جامعة بغداد، ٢٠٠٨)، ص١١.

(26)Yoshizaki Tomonori, Alliances and Conflict Resolution: NATO's Role in Security Sector Reform, National Institute for Defense Studies (NIDS) Security Reports, p 100٠
<www.nids.go.jp/english/dissemination/kiyo/pdf/.../bulletin_e2009_5.pdf>

(٢٧) فيليب جوردن، تعاظم دور حلف الناتو في الشرق الأوسط " الكبير"، سلسلة محاضرات الإمارات، ع(١١٥)، ط١، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، (أبو ظبي، ٢٠٠٨)، ص١٧.

(٢٨) حسون،المصدر السابق، ص ص ٥١٥- ٥١٦.

(29) Janka Oertel, The United Nations and NATO, Paper prepared for the ACUNS 21st Annual Meeting, Bonn, Germany, 5-7 June 2008, P6.

(٣٠) حافظ، "المصدر السابق، ص ١٤٦.

(31)"Istanbul Cooperation Initiative ICI: Reaching out the broader Middle East"<http://www.nato.int/cps/en/natolive/topics_58787.htm?>

(٣٢) حافظ، "المصدر السابق، ص ١٤٦.

(٣٣) تسلم اللواء كارل هلديرنك (من القوة الجوية الهولندية الملكية) قيادة البعثة حتى الثامن من تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٤. وهو ذات اليوم الذي عُين فيه الفريق دايفد بيتريوس قائدا لبعثة التدريب للعراق حسب قرار مجلس حلف الشمال الأطلسي الصادر في ذلك اليوم إلحاقا بترتيبات القيادة و السيطرة المؤقتة. إذ إن الفريق بيتريوس كان قائد للقيادة الانتقالية الأمنية المتعددة الجنسية في العراق(ضمن قوات المتعددة الجنسية) وكان يقوم بتدريب وحدات الجيش والشرطة العراقية. وقاد الفريق بيتريوس كل من القيادة الانتقالية الأمنية المتعددة الجنسيات وبعثة التدريب في العراق. ولكن بعثة حلف الشمال الأطلسي للتدريب كانت تحت السيطرة السياسية لمجلس حلف الشمال الأطلسي. أصبح اللواء كارل هلديرنك نائب القائد لبعثة التدريب للعراق منذ الثامن من تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٤. كان اللواء جيمس شورت (من القوات البريطانية) في السابق نائباً لقائد البعثة منذ تأريخ تشكيلها و لغاية ١٧ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٤ عندما تسلم المنصب منه اللواء بجورن كرستيانسن (الضابط في القوة الجوية الملكية النرويجية) وبقى في منصبه حتى إقرار التنظيمات الجديدة للقيادة والسيطرة التي دخلت حيز التنفيذ بعد قرار مجلس حلف الشمال الأطلسي في الثامن من تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٤. وقد شغل اللواء بجورن كرستيانسن هذا المنصب حتى الأول من تشرين الثاني لغرض تنظيم التدريب الخارجي ولتنظيم آلية مجموعة تنسيق المعدات والتدريب التابعة لحلف الشمال الأطلسي، ولجنة تنسيق المعدات والتدريب و لجنة توجيه المعدات والتدريب. ولمزيد من التفاصيل ينظر: "ورقة حقائق حول بعثة الحلف الشمال الأطلسي لتنفيذ التدريب في العراق"، تقرير صادر من بعثة الناتو للتدريب، المعلومات متاحة في الشبكات المتصلة على الموقع:

www.afsouth.nato.int

(٣٤) ((حلف الناتو والشرق الأوسط الكبير))، في حسن أبو طالب وآخرون، (التقرير الإستراتيجي العربي ٢٠٠٤- ٢٠٠٥)، مركز الدراسات السياسية و الإستراتيجية بالأهرام، (القاهرة، ٢٠٠٥)، ص١٣٧.

(35)"NATO's assistance to Iraq" <http://www.nato. int/cps/en/ natolive/ topics_ 51978.htm?selectedLocale=en>

(36) Stan L. Vanderwerf,"Iraqi pilots to begin prerequisite F-16 training", Advisor, A monthly publication of the United States Forces-Iraq,Vol.(7), Issue 8,(Iraq, 2010), P 10.

(37) Alonzo Bray, "Iraqis launch patrol boat training in U.S.", Ibid., P 7.

(38) James W. Peterson, "Impact of the Iraq War on NATO Capabilities", Prepared for Delivery at the Annual Meeting of the Southern Political Science Association, New Orleans, Louisiana, January 9, 2009, p.p. 21-22.

(٣٩) مقلد، المصدر السابق، ص ص ٦٦٥– ٦٦٦.